الخاطرة 85

من حسن التربية أن لا تكاشف غيرك بما تعرفه عنه من سوء يخفيه، وأن تسعى في تقويمه بالإشارة والتلويح، فإن المكاشفة ترفع برقع الحياء الذي يمنع المجاهرة .
واستخفاء المرء بما يشين دليل على وفرة حيائه الذي يحد من التمادي، ويردع عن التظاهر، فينحصر الشر، ولهذا كان من هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يجبه الناس بما يعلم عنهم، بل يقول :
"ما بال أقوام"؟ .
وفي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب قال: "إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ِ صلى الله عليه وآله وسلم، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسبه في
سريرته، ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال إن سريرته حسنة ."
وإذا كان هذا فيما يعلمه المرء عن الناس بالتوسم والقرائن، فإن التتبع والتقصي يفسدهم كما في حديث معاوية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إنك إن اتبعت عورات الناس ،أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم" قال أبو الدرداء: "كلمة سمعها معاوية من رسول الله ِ صلى الله عليه وآله وسلم نفعه الله بها" وقال معاوية ذلك عن نفسه أيضا .
وفي قصة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذا الأمر مثالان :
*أولهما: اعتذار يعقوب عليه الصلاة والسلام لبنيه عن إرسال يوسف معهم بأعذار ثلاثة، مع وجود قرائن على كراهتهم له وكيدهم، كيف وقد قص ابنه عليه رؤياه، وهي جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة، فأخذ منها ما ذكره له من الاجتباء والتمكين، ونهاه أن يقصها عليهم؟، لكنه لم يظهر لهم ما يريبه منهم.

" *قال إني ليحزنني أن تذهبوا به"، فمفارقة ابنه تحزنه، لتعوده على ملازمته، وهو كاف في صرفهم عن طلبهم لو بروه، كيف يسعىالولد فيما يحزن أباه؟، وهو لا يجوز له أن يتسبب في حزن غيره: "إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث فإن ذلك يحزنه. "

" *وأخاف أن يأكله الذيب* وهذا يدل على عدم تعوده الخروج معهم للرعي، وفيه إشارة إلى أن هذا الأمر كان معروفا في زمانهم، وهو أكل الذئاب من تستضعفه من الناس، وأصنافها تتفاوت في الضراوة بحسب البلدان.

"وأنتم عنه غافلون" ، هي جملة حالية من المفعول به في' يأكله ' وهو تغافل من يعقوب ومساترة وكتمان لما يعلمه عنهم من التهمة، كما أنه تسليم لهم بصدقهم في دعوى الحفظ له .!!
ومما يتعجب منه أن أبناءه اعتمدوا على هذين الأمرين في التبرؤ من فعلتهم بعد أن ألقوا أخاهم في الجب، ظنوا أن أباهم يسهل عليه تقبلهما لأنه كان يتوقعهما !!، فصار كأنه اقترحهما عليهم . !!
وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي مجلز قال: "لا ينبغي لأحد أن يلقن ابنه الشر، فإن بني يعقوب لم يدركوا أن الذئب يأكل الناس"!!، حتى قال لهم أبوهم: "إني أخاف أن يأكله الذئب وروي مرفوعا عن ابن عمر كما هو في مسند الفردوس للديلمي .
وقيل إنه خافهم عليه أن يقتلوه، فكنى عنهم بالذئب مساترة لهم!!،
وذكر بعضهم أن ابن عباس قال: سماهم ذئابا . !!
أقول:أما التغاضي فقد علمته، وهو حق، وأما الكناية فخلاف الظاهر، وكيف لا يعلمون طبيعة الذئب وهم رعاة ؟□□ .
وثانيهما: من يظن أن امرأة العزيز وهي من هي في منزلتها وكبريائها، وقد أقام يوسف سنوات في بيتها، فشغفها حبه وأخذ بمجامع نفسها أنها تهوي فجأة إلى مراودته عن نفسه، من غير تدرج في أفانين الإغراء، وأساليب الإغواء، مع صنوف الاستعلاء، ويوسف
الصديق يدأب على تجاهلها، غير عابئ بكشف أمرها، ماض في خدمتها، هو في شغل شاغل، كأنه يرى ربه، أو يراه ربه، أما هي فيراها، وكأنه لا يراها!!، عصمة واستعصام، وتسام لا يرام، حتى إذا صارحته من غير مواربة، لاذ بجناب مولاه، وزجرها بقوله: معاذ الله .!!
قد تقول: تكتم يعقوب لم يثن أبناءه عما دبروه، وإعراض يوسف لم يصرف امرأة العزيز عن الكشف عما لوحت به، والجواب: ما لك وللقدر؟، اعمل ما كلفت به، وأمسك عما حجب عنك، فما مكر إخوته، وإلقاؤه في الجب، وبيعه، وكيد امرأة العزيز، وسجنه، ، وتعبير رؤيا الفتيين إلا تصاريف الأقدار، انتهت إلى ما تنتهي إليه عاقبة الأبرار، وربك يريد، وهو فعال لما يريد.

9محرم 1440

بن حنفية العابدين